الرمز والانزياح في رواية "سأهبك مدينة أخرى" لأحمد إبراهيم الفقيه

أ.سامية بلعايبة

جامعة عباس لغرور خشلة- الجزائر

ملخص البحث

استطاع النّص الروائي العربي المعاصر بعامة والليبي بخاصة، وهو يبحث عن آفاق إبداعية جديدة ومغايرة الخروج عن النّموذج البنائي والأسلوبي المألوف والتّقليدي، وذلك بانفتاحه على باقي الأجناس الأدبيّة التي يعدّ الشعر من أهمها؛ إذ يبرز الشعر في الرواية الليبية المعاصرة من خلال تفاعله معها في بنية سردية متعالقة ومركبة، يتجاور فيها السردي والشعري موقعة بذلك شعرية تلامس روح الشعر وجماليته.

ومن هنا تسعى هذه المداخلة لرصد بعض ملامح هذا التداخل، كالرمز والانزياح لكونهما من السمات النوعية الشعرية التي تقنن للتخوم بين عالمي الرواية والشعر، ومن ثم كانت رواية "سأهبك مدينة أخرى" لأحمد إبراهيم الفقيه محل الدراسة، وذلك للإجابة عن عدة إشكاليات أبرزها: ما أثر حضور الآليات والتقنيات الشعرية في الرواية؟

ونظرا لطبيعة هذا النص الروائي المنفتح الذي يرفض التقولب ضمن قالب بعينه، فقد تم الاعتماد على أكثر من منهج، كالمنهج البنيوي والأسلوبي وباتباع آليتي الوصف والتحليل، وهو ما سمح بالتوصل إلى جملة من النتائج منها: إنّ الرواية الليبية المعاصرة قد وصلت إلى أعلى مستويات التجريب بانفتاحها على الشعر، وهو ما يزيد من جمالياتها ويُسهم في تعميق أبعادها الإنسانية.

الكلمات المفتاحية الرواية، الشعر، التداخل الأجناسي، الرمز، الانزياح.

Abstract

The contemporary Arab novelist text in general, and the Libyan one in particular, was able to search for new and different creative horizons to deviate from the familiar and traditional constructive and stylistic model, by opening it up to the rest of the literary genres, of which poetry is one of the most important. As poetry appears in the contemporary Libyan novel through its interaction with it in a narrative structure that is connected and complex, in which the narrative and the poetic are adjacent to each other, thus touching the spirit of poetry with its beauty.

Hence, this intervention seeks to monitor some of the features of this overlap, such as symbolism and displacement, because they are among the qualitative poetic features that ration the boundaries between the worlds of novel and poetry. Hence, the novel “I will give you another city” by Ahmed Ibrahim al-Faqih was the subject of study, in order to answer several problems, most notably: What is the effect of The presence of poetic mechanisms and techniques in the novel?

In view of the nature of this text, an open-minded novelist who refuses to be molded within a specific template, more than one

approach has been relied upon: such as the structural and stylistic approaches, and by following the mechanisms of description and analysis, which allowed us to reach a number of results, including: that the Libyan novel has reached the highest levels of experimentation with its openness to poetry, This increases its beauty and deepens its human dimensions.

KEYWORDS novel, poetry, gender overlap, symbol, displacement.

قضية التداخل الأجناسي

لقد تراجعت نظرية الأجناس الأدبية في ظل سطوة التجريب، التي أصبح معها الإبداع الأدبي خاضعا لذات المبدع والتجربة الإبداعية ذاتها،وما تمارسه من أشكال تجريبية مختلفة ينفتح معها الإبداع الأدبي على استثمار كل التقنيات والإمكانات الفنية التي تتيحها الأجناس الأدبية منها وغير الأدبية، مما يقوض خارطة التخوم لهذه الأجناس التي قننتها نظرية الأجناس الأدبية، وهو ما يجعل شروط الانتماء الجنسية لجنس معين يستعاض عنها بظاهرة التداخل الأجناسي التي يستحيل معها الإبداع الأدبي إلى عملية حرة معلنة عن ميلاد عمل أدبي جديد يحمل اسم الكتابة أو النص (صالح وآخرون، 2008)، الذي يرفض التصنيف أو التقولب والانتساب إلى قالب محدد.

وقد أفادت الرواية مما وصل إليه التجريب من تخطي النمط السائد ومن انفتاح، بوصفها أكثر الأجناس مرونة وقدرة على استيعاب المتغيرات، فالأديب "مؤهل لممارسة العديد من الأنواع الأدبية أو الفنية مما يجعله قادرا بالتالي على التنقل بين أشكال الإبداع المتعددة، أو أن يحدث نوعا من المزج بين نوعين أو أكثر" (صالح وآخرون، 2008، صفحة 13)، وبذلك استوعبت الرواية مختلف أشكال الإبداع الإنساني، وما يتيحه من أدوات وآليات فنية، وهو "مما أفضى إلى انتهاك قواعد الجنس الروائي وكسر منطق انتظام السرد فيه وكسر زمنيته الخطية والاخلال بنسق استرساله، فتتعالق لغات وأصوات، وتتقاطع خطابات متمايزة داخل النص الواحد" (بومعزة، 2022، صفحة 212)، فتتفاعل عبرها الأجناس وتتلاقح مولدة نصا إبداعيا يجمع بين خصوصيات السرد وجماليات التقنيات المستعارة من الأجناس المتفاعلة معها، وهو ما يوقع شعريتها.

ويعد الشعر من أبرز الأجناس الأدبية التي وجدت فيها الرواية ضالتها، في محاولاتها التجريبية لتطوير لغتها وتجديدها، لتحقيق وظيفتها الجمالية المنوطة بها، وذلك لأن لغة الشعر تمثل "المظهر المثالي للغة الأدب" (بودوخة، 2015، صفحة 30). فاستثمرت بذلك الرواية مختلف أدواته الفنية وتقنياته الأسلوبية مما يسمها بسمات الشعر، وينزع بها إلى عوالمه الجمالية والشاعرية؛ إذ "يتظافر النزوع الشعري مع الطابع الأسلوبي للغة...لتشكيل عالم روائي متميز، بتشغيل آليات الإنتاج الشعري، عن طريق اعتماد التصوير وتكثيف الدلالة" (بومعزة، 2022، صفحة 230)، وتصطبغ بذلك بملامح الشعر وميزاته، من خلال استحضار آلياته وأدواته البنائية والأسلوبية

التي من أبرزها الانزياح والرمز، لكونهما أكثر التقنيات فاعلية في توليد الإيحاء الذي يشكل أسمى غايات الشعر.

وتشكل رواية (سأهبك مدينة أخرى) للروائي الليبي أحمد إبراهيم الفقيه أنموذجا بارزا من الرواية العربية المعاصرة التي يتراسل فيها السرد والشعر تحت مظلة نصية واحدة.

لمحة عن الرواية الليبية من التأسيس إلى التجريب

عرفت الرواية الليبية حركة بطيئة في سيرورتها منذ نشأتها المتأخرة مقارنة بنظيراتها في دول المغرب العربي، في كل من: تونس، الجزائر والمغرب، "فمنذ 1961 تاريخ صدور أول عمل يحمل اسم الرواية بعنوان >>اعترافات إنسان<< لمحمد فريد سيالة إلى منتصف الثمانينيات، صدرت عدة نصوص نشرها مؤلفوها باعتبارها روايات. غير أنها تتصف في الغالب، عدا نزعة التقليد الطاغية عليها بالفقر الواضح في مستويات أبنيتها وتخيلاتها" (عقار، 2000، صفحة 22)، بداية مع النصوص الروائية التأسيسية، المتمثلة في الرواية سابقة الذكر بالإضافة إلى روايتي >>أقوى من الحرب<< لمحمد علي عمر، و>>غروب بلا شروق<< لسعد عمر غفير سالم التي ظهرت في مجملها خلال فترة الستينيات (محمد، 2010).

وقد توالى بعدها صدور الروايات الليبية على أيدي ثلة من الروائيين، منهم: محمد صالح القمودي، مرضية النعاس، صالح السنوسي، خليفة حسين مصطفى في منحى تصاعدي نحو بلوغ النضوج الفني، "وتمثل >>رواية حقول الرماد<< (1985) لأحمد إبراهيم الفقيه استثناء إلى حدود هذا التاريخ

تقريبا. إنها البداية الناضجة والمكتملة للرواية...وتواصل الرواية الليبية بعد هذا النص تطورها بل وتجريبيتها وبخاصة من خلال روايات إبراهيم الكوني خماسية >>الخسوف<< (1989)، و>>التبر<< (1990)، و>>المجوس<< (1991)، ومن خلال ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه (1991) " (عقار، 2000، صفحة 22) ، هذه الأخيرة التي شكلت برواياتها الثلاثة أفقا جديدا في الكتابة الروائية الليبية، ومرحلة جديدة نحو آفاق التجريب والعالمية.

تجليات الشعر في رواية "سأهبك مدينة أخرى"

رواية (سأهبك مدينة أخرى) هي الجزء الأول من ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه التي تحمل اسمها، بالإضافة إلى روايتي: "هذه تخوم مملكتي" و"نفق تضيئه امرأة واحدة"، إذ تسرد هذه الرواية قصة خليل الإمام الرجل الشرقي الطرابلسي، الذي سافر إلى أوروبا (لندن) للحصول على أعلى شهادة علمية (شهادة الدكتوراه) في اللغة الإنجليزية (الفقيه، 1991)، حاملا معه مفاهيم وأفكار الشرق، ليظهر هناك الجانب الخفي من شخصيته الذي كانت تظلله القيم التي يفرضها المجتمع، ويتجلى بذلك صراع الثقافات من خلال الاختلافات بين الشرق المحافظ، والغرب الذي لايخضع للقوانين والنواميس، مما يصل به إلى حد الانحلال في الأغلب، وبهذا فهي تعبر عن عمق التجربة الإنسانية في اكتشاف الذات البشرية، ورحلة البحث عنها في خضم ضياعها تحت سطوة الآخر.

وقد أبدع الروائي في بلورة هذه الثيمة التي هيمنت على نصه الروائي، إذ جند كل الأساليب الفنية والمكونات السردية لتمثيلها سرديا، ببناء عالم روائي ينفتح على أجواء الشعر الجمالية مستثمرا بعضا من آلياته وتقنياته الأسلوبية والفنية، وتتجلى مظاهر انفتاح وتفاعل الشعر مع السرد في رواية (سأهبك

مدينة أخرى) في لغتها الانزياحية التي تعدل بها عن لغة السرد لتلامس لغة الشعر، وفي صورها الرمزية التي تجنح إلى التلميح والإيحاء وترتقي بها لتعانق خيال الشعر.

أولا: الانزياح

يعد الانزياح أحد الأدوات الفنية الأسلوبية التي يقوم عليها الشعر، وذلك لبلوغ غاياته من إثارة وإيحاء وتصوير (بودوخة، 2015)، فالشعر خرق لقوانين اللغة، وكسر لها تعقبه إعادة بناء بطريقة خاصة (كوهن، 1986)، وهذا البناء الجديد هو الذي ينزاح بالشعر عن المستوى المعياري للغة، ويجنح به نحو عوالم التكثيف والانفتاح الدلالي اللامتناهي، وهو ما يتوخاه الشعر، وبذلك فالانزياح يشكل جوهر الشعر، واستثماره في غيره من الأجناس الأدبية يرسم معالم الانفتاح والتداخل الأجناسي بين الشعر وغيره من الأجناس.

وهو ما يتمظهر في رواية (سأهبك مدينة أخرى)؛ إذ استعارت هذه التقنية الشعرية باستثمارها في نسيجها اللغوي، وتوظيفها داخل بنية سردية تقوم في الأساس على العلاقات المتشكلة بين مكوناتها السردية من: إيقاع زمني تراتبي، ونمط خاص للأحداث وسيرورتها وصور وحالات معينة للشخصيات والفضاء المكاني الذي تتحرك فيه، لتتفاعل بهذا الاستحضار المكونات السردية والشعرية مشكلة نصا روائيا مغايرا تتراسل فيه وتتجاور البنى السردية والشعرية على السواء.

وقد اعتمد الروائي في نصه هذه على الانزياح الدلالي أو الاستبدالي، وهو ما أضفى عليه بعدا جماليا متفردا لكون "الانزياح بأشكاله المختلفة

ظاهرة تميز أكثر الأساليب الأدبية التي يتوخى منها التأثير الجمالي" (بودوخة، 2015، صفحة 56)، إذ يتجلى الانزياح فيها منذ عتبتها الأولى المتمثلة في العنوان.

فعنوان الرواية (سأهبك مدينة أخرى) يشكل ملمحا انزياحيا بامتياز، شحنه الروائي بإيحاءات دلالية مكثفة تنفتح على قراءات وتاويلات لا متناهية؛ إذ ينبني من حيث تركيبه في جملة فعلية، فعلها مضارع حُصر زمنه في المستقبل القريب لاتصاله بحرف التنفيس (السين)، وفي هذا دلالة على حدوث تغيير قريب، لما يحمله الفعل من دلالات الحركة والتغيير وعدم الثبات، وما ينزاح به هذا العنوان هو الغموض الذي يلفه من خلال العموم الذي يسم المفعولان: المفعول به الأول (الضمير المتصل الكاف)، والمفعول الثاني (مدينة)، وبما يحملانه من إبهام، يجعلهما يحتاجان إلى ما يزيل هذا الإبهام عنهما، وهو ما أضفى عليه طابع الغموض الذي يجعل القارئ يبحث عما يفك مغاليقه في عالم الرواية، وبهذا فهو يخرق نظام العنونة المألوف الذي يحمل في الغالب دلالة مباشرة، ليتجاوزه إلى آفاق دلالية أرحب.

وهذا ما يتمظهر عبر كامل الرواية، إذ يهيمن عليها الانزياح في شقه الدلالي "الذي يتعلق بجوهر الوحدة اللغوية أو بدلالتها" (ويس، 2005، صفحة 120)، ومن أمثلة ذلك ما يتجلى في بداية الرواية في قول السارد:

"زمن مضى وزمن آخر لا يأتي.

وبين الزمن الهارب والزمن الذي يرفض المجيء، زمن ثالث، مفازة من الرمال الحمراء، تحرقها شمس تقف دون حراك، وسط سماء لها لون الرصاص. أتمدد نائما في سريري، وأنا أسير عبر الأرض المحروقة تائها عن الظل والماء. ينبثق فوق رأسي طائر يخفق بجناحيه الأسودين. أركض لاهثا

كي أحتمي بظله...وأسقط أنا فوق رمال الصحراء ميتا. توقظني من موتي طرقات على باب البيت" (الفقيه، 1991، صفحة 3).

يصور هذا المقطع الاستهلالي صورة شعرية كلية تتشكل من خلال تنامي الصور الجزئية، في نسيج علائقي متكامل خالقة بذلك لوحة فنية عمادها الأساس الانزياح، إذ ينزاح الروائي فيها عن كل ماهو مألوف ومتعارف عليه، باستغلال ما يتيحه المحور الاستبدالي من إمكانات فتحت أمامه أبواب الخلق والإبداع، وهو ما يتمخض عنه "الانزياح الاستبدالي" (كوهن، 1986، صفحة 205) حسب جان كوهن.

وقد اعتمد الروائي لتجسيد هذا النوع من الانزياح على الاستعارة بالدرجة الأولى، إذ "تمثل الاستعارة عماد هذا النوع من الانزياح. ونعني بها هنا الاستعارة المفردة حصرا، تلك التي تقوم على كلمة واحدة" (ويس، 2005، صفحة 111) حاضرة ترتبط بأخرى غائبة أو حاضرة أيضا عن طريق علاقة المشابهة، وبذلك فهي ضرب من المجاز اللغوي بها تستعار سمات وصفات كلمة ما لتصبح من سمات كلمة أخرى.

وبهذه الاستعارات والتشبيهات ينزاح المقطع السابق، من خلال إضفاء سمات ومواصفات غير مألوفة على الكلمات، مما يكسبها طاقات إيحائية تتدفق عبر هذا الاستعمال الانزياحي، إذ استعار الروائي سمات الهروب، رفض المجيء، القفر لينسبها للزمن دون وجود علاقة حقيقية منطقية، إلا أنه رأى بينها وجها للمشابهة، فالزمن الأول هو الماضي الذي لا يعود، أما الثاني فهو المستقبل الذي لم يأت بعد، بينما الثالث وهو الذي يتوسطهما فهو

الحاضر الذي شبهه بالمفازة، وهي تلك الصحراء المقفرة التي لا ماء فيها، فبدل أن يُصرح بكلمات: الماضي، الحاضر، المستقبل وهي سمات حقيقية للزمن عدل عنها إلى اعتماد المجاز اللغوي مستعيرا له ميزات وصفات تتناسب ورؤيته الخاصة للعالم وللكون، وبذلك منحها دلالات إيحائية لم تكن لتتحقق لو استعمل صفات الزمن الحقيقية، وهو ما وسمها أيضا بالجمالية والشاعرية.

الأمر ذاته يتجلى في استعارة ميزة الوقوف للشمس في قول السارد: "تحرقها شمس تقف دون حراك" (الفقيه، 1991، صفحة 3)، وهي من مميزات الإنسان، فعوض أن يُعبَّر عن الشمس بكونها ثابتة، تم اللجوء إلى التعبير عنها بكونها تقف دون حراك، وهو ما يوحي بإمكانية حركتها مادامت تستطيع الوقوف دون حراك، وفي هذا انزياح عن المستوى التعبيري إلى المستوى الإيحائي الذي يقوم على إثارة الأفكار لا التعبير عنها.

والملاحظ على هذه المجازات الانزياحية –استعارة كانت أم تشبيها– قيامها على آلية التشخيص، وهي من أبرز التجليات الفنية في الشعر العربي المعاصر، فمن خلالها جُعلت الأشياء المجردة (الزمن) والمحسوسة (الشمس) في أثواب وأجساد إنسان؛ تهرب، ترفض، تجيء وتقف، وهو ما يضفي عليها دينامية وحركية يكتسب بها هذا النص الروائي حيوية الشعر وبعضا من نفحاته الجمالية، وذلك لأن التشخيص يكتسي "بعدا شعريا ينفتح على قطبين أساسيين هما: تجسيد اللامرئيات وأنسنة المرئيات. ومن ثم يتم انتقال الأشياء من طابع السكون إلى طابع الحركة التي تصبح هي السمة المميزة للنص الأدبي. فالأشياء كلها تنبض بالحياة...ومن ثم كان التشخيص وسيلة من أهم الوسائل الفنية التي يعتمد عليها في سبيل إثراء البنية الجمالية للنص الأدبي"

(ملاس وآخرون، 2015، صفحة 168)، وبذلك أسهم التشخيص في بناء صورة شعرية تتسم بالحركة والحيوية وتقوم على التكثيف الدلالي. وهذه البراعة في استثمار آلية شعرية داخل نص سردي روائي أكسبه عمقا شعريا، "فالتجسيد البارع لهذه المعاني والأحاسيس التجريدية...جعلها شاخصة أمام الأبصار" (زايد، 2002، صفحة 70) تسمو بلغتها عن لغة النثر وتتدفق بطاقات جمالية محضة.

إضافة إلى المجازات اللغوية القائمة على التشخيص، تتراسل باقي آليات الانزياح وتتضافر لتشكيل صورة شعرية كلية تجمع بين العناصر المتشابهة والمتناقضة في الآن ذاته، ففي حين تنهض المجازات السابقة على أساس علاقة المشابهة، نجد الانزياح في مواضع أخرى من هذا المقطع ذاته يقوم على الجمع بين المتناقضات في بوتقة واحدة، فقول السارد: "أتمدد نائما في سريري، وأنا أسير عبر الأرض المحروقة تائها عن الظل والماء" (الفقيه، 1991، صفحة 3) يجمع بين عنصرين متعارضين ومتناقضين هما: النوم والسير من خلال الوظيفة الدلالية التي يضطلع بها حرف العطف (الواو)، الذي يدل على اشتراك المعطوفين في حكم واحد مع ما يكتنفهما من تباين يصل حد التناقض بل والتضاد، فالنوم يحمل معاني السكون والثبات والراحة ما يتعارض مع ما يحمله السير من معاني الحركة والانتقال والتعب، وهو ما يولد سيلا من الإيحاءات تلمح إلى حالة السارد اللامستقرة والمتوترة بين بعديه الفيزيائي والنفسي، فبالرغم من سكونه فيزيائيا إلا أنه يظل في ارتحال نفسي دائم عبر مسالك شاقة ومجهدة يبحث من خلالها عن السكينة والطمأنينة.

وهو ما يجسده أيضا قول السارد: "توقظني من موتي طرقات على الباب" (الفقيه، 1991، صفحة 3) حين قرن فيها بين اليقظة وهي من سمات الحياة، والموت الذي لا رجعة بعده إلى الحياة الدنيا، إذ تمت الاستعاضة في هذا القول عن كلمة (النوم) لتحل محلها كلمة (الموت)، وهو ما يوحي دائما بحالة الضياع والتوتر، أين يصبح النوم الذي يعد مصدرا للراحة والهدوء، سبيلا للهروب من الواقع وقطع كل الصلات به، وهذا ما يجعل هذا المقطع من الرواية يجنح إلى الإيحاء والتلميح بعيدا عن التصريح والمباشرة، وهذا بفعل استثمار الانزياح.

ومن الأمثلة التي يتجلى فيها الانزياح أيضا قول السارد خليل الإمام: "أبدلت ريشي كما تفعل الطيور بعد انتهاء الربيع. نزعت عن نفسي وفور وصولي ذلك الجلد القديم الذي لم يكن جلدا وإنما معطفا يلائم طقس تلك البلاد وانتفت الحاجة إليه بعد أن اختلف المناخ وتبدلت مشاهد الطبيعة" (الفقيه، 1991، صفحة 5)، يصور هذا المقطع واقع السارد وما طرأ عليه من تغيرات نتيجة امتثاله لمتغيرات المكان الذي انتقل إليه متخليا في الوقت نفسه عن موروثه القيمي، ولتصوير هذا التحول اعتمد الروائي على لغة انزياحية تقوم على أساس التشابه، ولكن المثير أن هذه المتشابهات لا ترتبط فيما بينها بعلاقات مشابهة حقيقية ملموسة، بل تعدت هذه المشابهة العلاقات الحسية الجامدة إلى علاقات أكثر عمقا، نشأت من خلال تماثل الحالات النفسية والشعورية للأطراف المتشابهة، وفق رؤية خاصة، وهو مما يتوخاه الانزياح.

وهذه التمثلات الشعرية للانزياح تطغى على مساحات نصية واسعة داخل الفضاء النصي الروائي، بهيمنته على بنائها ونسيجها اللغوي، ومن المقاطع

التي يتجسد فيها هذا قول السارد خليل الإمام: "انطلق الخنجر من طرابلس، ومزّق السماء في ومضة خاطفة، ووصل إلى صدري...بقيت ساهما، واجما، والخنجر مرشوق في صدري" (الفقيه، 1991، صفحة 88).

وقوله أيضا: "أتراه حقا طواه ذلك الموج الأسود الذي نسميه الموت؟ هل تقوض ذلك البناء الذي ظل برغم الشيخوخة، شامخا، ومتينا كالقلاع القديمة، وانطفأت تلك الجذوة التي تشتعل في عينين تحيط بهما الظلال والتجاعيد التي تشبه كتابة بالطلاسم السحرية" (الفقيه، 1991، صفحة 93).

يرتسم في هذين المقطعين مشهد تصويري، يوحي بألم السارد على موت والده في صورة شعرية تقوم على أساس الخيال الذي يرى بوجود علاقات خفية تجمع بين عناصر متباعدة، فالجامع بين نبأ الموت والخنجر هو الألم، وبين الوالد والبناء هو القوة والصلابة، وبهذه العلاقات تمكن الروائي من تشخيص إحساس خليل الإمام وتجسيد شعوره بألم الفقد، وهو ما يجعل لغته أكثر قوة، وأبعد عمقا.

وأمثلة الانزياح كثيرة في الرواية، إلا أن المقام لا يتسع لإيرادها جميعا. فبمثل هذه الانزياحات يصطبغ النص الروائي (سأهبك مدينة أخرى) بسمات الشعر وبخصوصياته، ويمتح من روحه مؤديا وظيفة جمالية بحتة تنبعث مما تمخض عن الانزياح من صور شعرية ترسم ملامح شاعرية هذا النص الروائي، وتكسر روتين الإيقاع السردي. ومن بين ما أسهم في تحقيق ذلك أيضا استثمار الرمز.

ثانيا: الرمز

الرمز من أحدث الآليات الشعرية التي عرفها الشعر العربي المعاصر، فهو "وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصي على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة" (زايد، 2002، صفحة 104)، وبذلك فالرمز يقوم على نوع من العلاقة التي يتم ابتداعها ذاتيا من قبل الشاعر، وعلى هذا الأساس فهو يتسم بالجدة والمغايرة، وقد نوع الشاعر في رموزه بحسب المصادر التي يستقيها منها، من رموز تراثية، طبيعية وخاصة.

وعلى سبيل الانفتاح والتفاعل مع الشعر أخذ الروائيون ينهلون من معينه اللغوي ومن أساليبه الفنية، فلجؤوا إلى استعارة الرمز وتوظيفه بأسلوب الشعر، إذ من الممكن أن يجعل الروائي من فضاء روايته أو شخصياتها رموزا، فالرمز في الشعر يختلف عنه في الرواية إلا أن المتأمل لرواية (سأهبك مدينة أخرى) يجدها قد استثمرت الرمز استثمارا شعريا، إذ وظفته بوصفه فاعلا في بناء صورة شعرية تتآزر جزئياتها وتتنامى مثيرة أجواء إيحائية رحبة (أحمد، 1984).

وقد اتكأ الروائي في هذه الرواية على نوعين من الرموز: الرمز التراثي، والرمز الخاص، فقد استمد النوع الأول من الموروث الأدبي العربي، فاستقى هذه الرموز من حكايات (ألف ليلة وليلة) محملا إياها أفكار السارد ومشاعره التي تقف على المحك بين ثقافتين: العربية والغربية، ومن ذلك قول السارد: "فالليالي ليست فقط سفائن سندباد، وكنوز علي بابا، وفضول حلاق بغداد، ومصباح علاء الدين السحري الذي يسكنه ملوك الجان. ليست فقط بساطا

سحريا نسافر فوقه إلى جزائر الحلم. إنها العنف والجنس، والعشق والموت، والتعامل مع تلك المناطق البعيدة، العميقة، الغامضة، في النفس البشرية" (الفقيه، 1991، صفحة 8)، وقوله أيضا: "ومستعينا بشهر زاد وذاكرتها السحرية، بلصوص بغداد وشطارها، بدراويشها وقهرماناتها، بالأميرات الباحثات عن الحب، والمغامرين الحالمين بالمجد...مستعينا بالطلاسم والتمائم والأدعية والخواتم السحرية، بالجنيات القادرات على طمس الطبيعة البشرية، والمردة الطالعين من قماقم الملك سليمان، ذهبت أبحث عن زمن أكثر بهجة من زمني القديم، مرتديا ملابسي التنكرية، متخذا مظهر رجل شرقي، خرج لتوه من كتاب الأسطورة" (الفقيه، 1991، صفحة 10).

في هذين المقطعين يستحضر الروائي هذا الزخم الهائل من الرموز التي حفلت بها حكايات (ألف ليلة وليلة) بكل حمولاتها ودلالاتها الثقافية والحضارية والأدبية، ليرمز بها إلى حالات الضياع التي يحياها السارد الناتجة عن القطبين المتعارضين اللذين يتجاذبانه، فما بين الوفاء للأصل والثقافة العربية والارتماء في حضن الآخر وثقافته الغربية بون شاسع لا يضيق، إذ يتولد هذا المعنى الرمزي من خلال التفاعل بين دلالة الرمز الواقعية، وبين دلالته الإيحائية (زايد، 2002)، وما هذا الاستحضار لرمز شهر زاد بحكايتها المؤطرة أو باقي الحكايات المتضمنة فيها إلا محاولة لإثبات ذات السارد من خلال تأكيد تحرر وانفتاح الإنسان الشرقي منذ القرون الوسطى في مقابل تحرر العلاقات الذي يعيشه الغربي حاليا، فهو "يمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر: وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي

الخصبة المعطاء...حيث يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان، ويتعانق في إطارها الماضي مع الحاضر" (زايد، 2002، صفحة 121)، وبذلك فقد حققت هذه الرموز نوعا من الرجوع إلى الذات وإثبات هويتها وأصالتها في مواجهة الآخر ومده الثقافي الذي يمارسه على السارد.

إضافة إلى الرموز التراثية تبرز في الرواية الرموز الخاصة أو الذاتية التي تتشكل وتولد مع التجربة الإبداعية ذاتها، فهي ذات مرجعية داخلية لا ترتبط مثل الرموز التراثية بدلالة واقعية، و"لا يحكمها نظام سابق على الاستثمار، فإن الإشارات في متن النص الجديد تؤدي بها إلى خلق نظام خاص يربط تلك الرموز" (عاتي، 2015، صفحة 58) وفق ما تقتضيه رؤى المبدع وأفكاره، وبهذا فالرمز الخاص يظهر إلى الوجود مع النص الأدبي، من خلال تطعيمه بإشارات رمزية تشحنه بإيحاءات دلالية تفتح الآفاق أمام التأويل (عاتي، 2015).

ومن هذا المنطلق فقد اكتست لفظة (الصحراء) في هذا النص الروائي بعدا رمزيا بكونها رمزا من الرموز الخاصة، لورودها المتكرر عبر كامل المساحة النصية الروائية هذا من جهة، ولتحميلها دلالات رمزية مشتركة مع كل تجلٍ لها، إذ ترمز للعنف والقساوة والسلطة، ومن الأمثلة التي ورد فيها هذا الرمز الخاص:

"زمن ثالث مفازة من الرمال الحمراء". (الفقيه، 1991، صفحة 3)

"سقطت شمس الصحراء بعنفها وقسوتها". (الفقيه، 1991، صفحة 5)

"وأسقط أنا فوق رمال الصحراء ميتا". (الفقيه، 1991، صفحة 3)

"منحت ذاكرتي مدينة أخرى تهرب إليها من قسوة المدن التي تطاردها رياح الصحراء". (الفقيه، 1991، صفحة 7)

"لا تستطيع أن تملأ فراغ هذه الصحراء التي تمتد بلا حدود تحت أضلعي". (الفقيه، 1991، صفحة 11)

تتضح من خلال الأمثلة السابقة الرمزية الخاصة التي تحملها لفظة (الصحراء)، وارتباطها بدلالات السلطة والتزمت والعنف والقسوة.

كما يظهر رمز آخر خاص مع لفظة (البدوي)، إذ يتشكل على نحو تراكمي فيهيمن على النص الروائي، ومن مواضعه نذكر:

"ما هذا الذي تفعله أيها البدوي؟" (الفقيه، 1991، صفحة 10)

"ها قد بدأت الدراسة تشد قبضتها هلى هذا البدوي". (الفقيه، 1991، صفحة 25)

"أنت الذي جعلتني أفعل ذلك تريدني أن أكون بدوية مثلك". (الفقيه، 1991، صفحة 29)

"فقد كانت مناسبة أيضا لأن أتعرف على هذا البدوي الذي بداخلي". (الفقيه، 1991، صفحة 50)

من خلال ما سبق تبرز رمزية (البدوي) بوصفه رمزا للإنسان العربي، حُصر من خلاله العربي في زاوية ضيقة، فالعربي بكل مقوماته العقائدية، الثقافية، الحضارية والتاريخية لا يعدو إلا أن يكون مجرد بدوي، وهذا النعت هو أحد الجوانب التي يتخبط فيها السارد الإمام.

إن استحضار هذه الرموز الشعرية وبذرها في أرض سردية، وتربة روائية، أنتج نصا هجينا يجمع بين سمات أصلية وأخرى وافدة، ويزاوج ما بين خصوصيات البنية السردية بمكوناتها، من أحداث وشخصيات وفضاء

زمكاني، والأدوات الفنية للغة الشعرية، من انزياح ورمز وبهذا حققت الرواية شعرية وجمالية تقوم على التجريب والمغامرة.

قائمة المراجع والدراسات السابقة

- أحمد، محمد فتوح، (1984)، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة.
- الفقيه، أحمد إبراهيم، (1991)، سأهبك مدينة أخرى، رياض الريس للنشر والتوزيع، لندن.
- بودوخة، مسعود، (2015)، الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بومعزة، نوال، (2022)، مظاهر التجريب وآلياته في الرواية العربية الجزائرية الجديدة، ألفا للوثائق للنشر والوزيع، الأردن.
- زايد، علي عشري، (2002)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- صالح، فخري وآخرون، (2008)، التجنيس وبلاغة الصورة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، لأردن.
- عاتي، حسن كريم، (2015)، الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للنشر، بغداد.
- عقار، عبد الحميد، (2000)، الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء.
- كوهن، جان، (1986)، بنية اللغة الشعرية،تر: محمد العمري ومحمد الولي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء.

- محمد، فايد، (2010)، "الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية في النشأة والتطور"، مجلة المعيار، العدد (2)، 124-141.
- ملاس، مختار وآخرون، (2015)، الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- ويس، أحمد محمد، (2005)، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

الخاتمة.

من خلال العرض السابق أصل إلى النتائج الآتية:

- تقوم رواية (سأهبك مدينة أخرى) لأحمد إبراهيم الفقيه على التجريب والمغامرة من خلال انفتاحها على الشعر وتداخله معها.
- إن انفتاح هذه الرواية على الشعر وتقنياته صبغها بسماته وخصوصياته.
- أسهم استثمار الانزياح في الرواية بتشكيل صور شعرية تتسم بالكلية والشمولية، وترقى بها إلى مصاف الشعر وجمالياته.
- إن الرمز من تجليات التداخل الأجناسي للشعر مع الرواية، وهو بشقيه التراثي والخاص يمنحها طابعا شعريا ينضح بالإيحاءات، وبعدا جماليا يزخر بالصور الفنية.

- يتسم هذا النص الروائي المتداخل مع الشعر بالتكثيف والإيحاء، مما يجعله طاقة إيحائية كامنة تتحرر مع كل قراءة جديدة، لتكتسي دلالات ومعانٍ مغايرة ومختلفة عن القراءات السابقة، وهو ما يحقق انفتاحه على التأويل وتعددية القراءة.
- إن سمتي التجريب والانفتاح اللتين يتسم بهما هذا النص الروائي، تجعل بحثي هذا غيضا من فيض، قاصرا عن الإلمام بها وبكل جوانبها دراسة وتحليلا، وتظل رواية (سأهبك مدينة أخرى) مجالا واسعا وخصبا للمقاربة بشتى المناهج، كالدراسة البنيوية بالوقوف على شعرية بنية الفضاء المكاني ورمزيته، أو السميائية السردية بتحليل بنيتها السطحية وبنيتها العميقة.

المصادر والمراجع

توثيق المصادر والكتب

- أحمد محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1984.
- الفقيه أحمد إبراهيم: سأهبك مدينة أخرى، رياض الريس للنشر والتوزيع، لندن، ط1، 1991.
- بودوخة مسعود: الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015.
- بومعزة نوال: مظاهر التجريب وآلياته في الرواية العربية الجزائرية الجديدة، ألفا للوثائق للنشر والوزيع، الأردن، ط1، 2022.

- زايد علي عشري: عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، 2002.
- صالح فخري وآخرون: التجنيس وبلاغة الصورة، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، لأردن، ط1، 2008.
- عاتي حسن كريم: الرمز في الخطاب الأدبي، الروسم للنشر، بغداد، ط1، 2015.
- عقار عبد الحميد: الرواية المغاربية تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- كوهن جان: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد العمري ومحمد الولي، دار توبقال للنشر، الدارالبيضاء، ط1، 1986.
- ملاس مختار وآخرون: الأسلوبية مفاهيم نظرية ودراسات تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015.
- ويس أحمد محمد: الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،2005.

توثيق البحوث المنشورة في الدوريـات

- محمد، فايد، 2010، "الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية في النشأة والتطور"، مجلة المعيار، العدد 2، 124-141 . المركز الجامعي تيسمسيلت الجزائر